أخبار النساء من خلال تراجم
كتاب "وَفَيات الأعيان وأنباء أهل الزمان" لابن خَلِّكان

د.أم الخير عثماني(أستاذ محاضر "أ")

جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة–

ملخص:

هذه الدراسة تتضمن جوانبا من حياة بعض النساء المسلمات من مختلف العهود التاريخية الإسلامية، ومن مناطق جغرافية مختلفة، مستخلصة من تراجم كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان" لابن خلّكان، وفيها تطور لتقاليد المجتمع الإسلامي في قضايا الزواج والتعليم خاصة، وتطور شخصية المرأة المسلمة من فترة لأخرى.

Résumé:

cet étude comprend un coté de vie de certaines femmes musulmanes qui viennent de differentes périodes historiques islamiques et de differentes régions géographiques, résumé des bibiographies ‘ Wafayat Al Aeyan waanbae ahl alzemen ‘ d’Ibn Khaliken, elle comprend aussi le dévelopement de la société islamique concernant les affaires de mariage, de l’éducation en particulier, et aussi le développement de la personnalité de la femme musulmane d’une periode à l’autre

مقدمة:

كثيرة هي كتب التراجم التي اهتمّت بالأعلام، بذكر بعض التفاصيل عن حياتهم؛ لكن لا يوجد كتاب تراجم خاص بالترجمة لأعلام النساء وحدهنّ، فقد نجدهنّ في ترجمات عارضة ضمن تراجم شخصيات لهنّ علاقات بهم كالآباء أو الأزواج وغيرهم؛ لذلك شدّ انتباهي كتاب "وَفَيَات الأعيان وأنباء أهل الزمان" لصاحبه ابن خلِّكان[1]، بذكره لترجمات مقتضبة لبعض الشخصيات النسوية والتي بلغ عددهنّ سبع عشرة ترجمة

فقط، عدا بعض الترجمات العارضة، فما أخبار النساء اللاّتي ذكرهنّ ابن خلّكان من خلال تراجم كتاب "وَفَيَاتُ الأعيان وأنباء أهل الزمان"؟.

التعريف بكتاب "وفيات الأعيان"، ومنهجه:

يذكر ابن خلّكان للتعريف بكتابه هذا وصفُه ودواعي تأليفه"هذا مختصر في التاريخ، دعاني إلى جمعه أنّي كنت مولعا بالاطّلاع على أخبار المتقدّمين من أولي النباهة وتواريخ وَفياتهم وموالدهم ومن جَمَع منهم كلّ عصر فوقع لي شيء، حملني على الاستزادة، وكثرة التتّبع"[2]، مبينا طريقة التحضير له وتوفير مادته واستنفاذ العمر في ذلك "فعمدت إلى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفنّ، وأخذت من أفواه المتقنين، ما لم أجده في كتاب، و لم أزل على ذلك حتّى حصل عندي مُسَودات [3]كثيرة في سنين عديدة"[4].

مبينا الجديد في منهجه لكتابة المؤلَّف" وغَلِق على خاطري بعضه، فصرت إذا احتجت إلى معاودة شيء منه، لا أصل إليه إلاّ بعد التعب في استخراجه؛ لكونه غير مرتب فاضطررت إلى ترتيبه، فرأيته على حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلتُ إليه، والتزمتُ فيه تقديم منْ كان أوّل اسمه همزة، ثمّ من كان ثاني حرف من اسمه همزة، أو ما هو أقرب إليها على غيره، فقدّمت إبراهيم على أحمد؛ لأنّ الباء أقرب إلى الهمزة من الحاء وكذلك فعلت إلى آخره؛ ليكون أسهل للتناول، وإن كان هذا يفضي إلى تأخير المتقدم وتقديم المتأخر في العصر وإدخال من ليس من الجنس بين المتجانسين؛ لكنّ هذه المصلحة، أحوجت إليه"[5]؛ ليكشف عن مضمونه" و لم أذكر في هذا المختصر أحدا من الصحابة – رضوان الله عنهم– ولا من التابعين –رضي الله عليهم– إلاّ جماعة يسيرة، تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء، ثمّ أذكر أحدا منهم إكتفاء بالمصنّفات الكثيرة في هذا الباب؛ لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتُهم، ونقلْتُ عنهم، أو كانوا في زمني، و لم أرهم؛ ليطّلع على حالهم من يأتي بعدي"[6].

مشيرا إلى تنويعه لمضمون الكتاب من أصناف الناس وطريقة اختصاره"و لم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل، العلماء، أو الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء، أو الشعراء؛ بل كلّ من له شهرة بين الناس، ويقع السؤال عنه ذكرته، وأتيتُ من أحواله بما وقفتُ عليه

من الإيجاز؛ كي لا يطول الكتاب، وأتيتْ وفاته ومولده، إن قدرتُ عليه، ورفعتُ نسبته على ما ظفرتُ به، وقيدتُ من الألفاظ منْ لا يُؤمن تصحيحه، وذكرت من محاسن كلّ شخص ما يليق به من مكْرمة، أو نادرة، أو شعر، أو رسالة؛ ليتفكّه به متأمِلُه، ولا يراه مقصورا على أسلوب واحد فيملَّهُ، والدواعي إنّما تنبعث لتصفح الكتاب إن كان مُفَنَّنًا"[7].

شرح طريقة تقديمه التي تشبه طريقة من سبقه من كُتَاب التراجم مع ذكر دافعه لتسمية كتابه هذا "وبعد أن صار كذلك، لم يكن بدّ من استفتاحه بخطبة وجيزة؛ للتبرك بها، فنشأ من مجموع ذلك هذا الكتاب، وجعلته تذكرة لنفسي، وسميتُه كتاب "**وفيات الأعيان وأبناء الزمان**"؛ ممّا ثبت بالنقل، أو السماع، أو أثبتَه العِيان؛ ليستدّل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان[8]، وتواضعا من ابن خلّكان فقد نبّه إلى ضرورة تصحيح قارئه المتخصص بعض الزلاّت التي يمكن أن يكون قد وقع فيها مؤلّفه أثناء كتابته "فمن وقف عليه من أهل الدراية بهذا الشأن، ورآى فيه خللاً فهو المُثاب في إصلاحه بعد التثبت فيه، فإنّي بذلتُ الجهد في التقاطه من مظّان الصحة، و لم أتساهل في نقله؛ ممّن لا يُوثَق به؛ بل تحريْتُ فيه حسبما وصلتْ القدرة إليه"[9]، مضيفا بأنّ مكان ترتيبه كان في شهور سنة654ه/1257م بالقاهرة رغم كثرة مشاغله العائقة، معتذرا لقارئه، لأنّ البضاعة من هذا العلم قَدرٌ مترور"[10].

تراجم نساء في صدر الإسلام:

ترجم ابن خلّكان لأمّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–، ذاكرا نسبها الإسلامي فقط، وزواجها بخير الخلق" عائشة بنت أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– وعن والدها، تزوجها رسول الله بمكّة، شرّفها الله تعالى قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: أنّه تزوجها قبل سودة[11]، زوّجه إيّاها أبوها فأصدقها مثلما أصدق سودة، وكان لها يوم تزوّجها ستّ سنين، وماتزوّج بكرا سواها، وقبض عليه وهي بنت ثماني عشرة سنة، وقُبض عليه وهي بنت ثماني عشرة سنة، وماتت في خلافة معاوية[12] سنة58هـ/678م، ولها سبع وستون سنة[13]، ودُفنت بالبقيع[14]، وهو ما يلفت الانتباه إلى تدخل الأولياء في تزويج بناتهم.

وانفرد ابن خلّكان بذكر خبر عن موقف معاوية من موتها، مايؤكد مكانة المـــرأة في ذاك الوقت عند بني أميّة" ولّما ماتت بكى عليها ابن عمر رضي الله[15] عنه، فبلغ ذلـــك معاوية فقال له: أتبكي على امرأة؟ فقال: إنّما يَبكي على أمّ المؤمنين بنوها وأمّا من ليس لها بابن، فلا"[16]...مذكرا ببعض فعالها وأقوالها "وبلغ عائشة –رضي الله عنها– أنّ أناسا يسبّون أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما–، فقالت: إنّ الله قطع عنهما العمل، فأحبّ أن لا يقطع عنهما الأجر"[17] وينفرد ابن خلّكان بذكر ماعُدّ في باب النادرة وتَفَهُم عائشة –رضي الله عنها–، وهو سعي عائشة للتوفيق وإصلاح ذات البين بين أحيـــاء قـــريش وركوبها بغلة "وقيل: وقعت بين حيّين من قريش منازلة، فخرجت عائشة على بغلـــة تُصلح بينهما، فلقيها ابن أبي عتيق فقال:إلى أين جُعلت فداك؟، فقالت:أُصلح بين هذين الحيّين، فقال:والله ماغسلنا رؤوسنا من يوم الجمل[18] بعد، فكيـــف إذا يـــوم البغـــل؟، فضحكت وانصرفت[19].

وذكره لتفاصيل ماحدث يوم الجمل ومسؤوليتها المباشرة فيه بالتخطيط لموقعة الجمـــل، كانت عائشة –رضي الله عنها–، خرجت من المدينة حاجّة وعثمان محصور، ثمّ صدرت عن الحج، فلمّا كانت بموقع وهو موضع قبر ميمونة زوج رسول الله –صلّى الله عليه وســـلّم–، لقيّها الخبر بقتل عثمان وبيعة علي فانصرفت راجعة إلى مكّة، ولحق بها طلحة والزبير ومروان بن الحكم، فلمّا تناموا بمكة، تشاوروا فيما يريدون من الطلب بدمّ عثمان، وهمّـــوا بالشـــام لمكان معاوية، فصرفهم عبد الله بن عامر عن ذلك إلى البصرة، فتوجهوا إليها، فأخذوا عثمان بن حنيف عامل علي بها، فهمّوا بقتله، فناشدهم الله، وذكّرهم صحبته لرسول الله، فأُشـــير بضربه أسواطا فضربوه، ونتفوا لحيته ورأسه حتّى حاجبيه وأشفار عينه، ثمّ حبسوه، وقتلـــوا خمسين رجلا، كانوا معه على بيت المال وغير ذلك من أعماله، فلمّا بلغ عليّـــا مســـيرهم، خرج مبادرا إليهم، واستنفر أهل الكوفة، ثمّ سار بهم إلى البصرة وهم بضعة عشـــر ألفـــا، فخرج إليه طلحة والزبير وعائشة وأهل البصرة، فاقتتلوا قتالا شديدا في ســـنة37ه/658م، وقال أحدهم: ومارأيت مثل يوم الجمل قط، لا يُهْزَم منّا أحد ولا منهم، وما أخـــذ حُطّـــام الجمل أحد، إلاّ قُتِل[20].

ويترجم ابن خلّكان لسُكَيْنَة[21] بنت الحسين[22]:يذكر اسم ونسب وأزواجها وتدّخل بني أميّة في حياتها الشخصية "السيدة سُكَينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، كانت سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهنّ وأحسنهنّ أخلاقا، وتزوّجها مصعب بن الزبير فهلك عنها، ثمّ تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قُرَينا، ثمّ تزوّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثمّ تزوجّها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفّان -رضي الله عنه-، فأمره سليمان بن عبد الملك[23] بطلاقها[24] ففعل، وقيل: في ترتيب أزواجها غير هذا[25]، والمهم أنّ ابن خلّكان قد أورد تقبل المجتمع العربي الإسلامي الأوّل للمرأة رغم ترّملها عدّة مرّات واستحسان جمالها[26] وأصلها ودينها، وهي شروط تلك الفترة، وأنّ العرب لم تكن تعاف الزواج بالمرأة الحرّة رغم تعدد زيجاتها من قبل، مع العلم أنّ لها أخت متزوجة عند آل عثمان[27]، وذُكر بأنّ لها نوادرا وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم، من ذلك ما يروي أنّها وقفت على غزوة بن أذينة، وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائعة وتبادلا شعرا[28]، وكانت وفاة سكينة بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأوّل سنة117هـ / 735م رضي الله عنها[29].

ومن المشهورات أيضا رابعة العدوية[30]، أم الخير رابعة ابنة اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة، كانت من أعيان عصرها في الصلاح والعبادة والذِكْر، كانت تقول في مناجاتها: إلهي تحرق بالنار قلبا، يحبك فهتف بها هاتف: ماكنّا نفعل هذا فلا تظنّي بنا ظنّ السَوْء، وأنّها لقيت سفيان الثوْري[31]، ونُقِل عنه حديثا له معها "قال يوما عندها سفيان الثوري: واحزناه، فقالت: لا تكذب: بل، قل: واقلّة حزناه، لوكُنتَ محزونا، لم يتهيأ لك، أن تتنفس، وكانت تقول: "ما ظهر من أعمالي، فلا أعُدُّه"[32]، ومن شدّة زُهدها، لم تكن تجد وقتا لوضعها؛ إذ لقيّ سفيان الثوري رابعة وكانت زرية الحال فقال لها: يا أمّ عمرو، أرى حالا رثّة، فلو أتيتِ جارك فلان؛ لغيّرَ بعض ما أرى، فقالت له: يا سفيان، وما ترى من سوء حالي، ألستُ على الإسلام، فهو العزّ الذي لا ذلّ معه، والغني لا يفقر معه..."والله إنّي لأستحي، أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها"، فقام

سفيان وهو يقول: "ما سمعت مثل هذا الكلام"، وقالت رابعة لسفيان: "إنّما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض، أن يذهب الكلّ وأنت تعلم، فاعمَل"[33].

ولورعها وزُهدها تقدّم لخطبها هاشمي؛ إذ كان أبوسليمان الهاشمي له بالبصرة كلّ يوم غلّة ثمانين ألف درهم، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوّجها، فأجمعوا على رابعة العدوية، فكتب إليها "أمّا بعد، فإنّ مِلْكي من غلّة الدنيا في كلّ يوم ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلاّ قليل، حتّى أتمّها مائة ألف إن شاء الله، وأنا أخطبك نفسك، وقد بذلتُ لك من الصداق مائة ألف، وأنا مصير إليك من بعد أمثالها، فأجيبيني"، فكتبت إليه: "أمّا بعد، فإنّ الزهد في الدنيا راحة القلب، والبدن، والرغبة فيها[34]، تورث الهمّ والحزن فإذا أتاك كتابي، فهيِءْ زادك، وقدّم لمعادك، وكن وصيّ نفسك، ولا تجعل وصيتك إلى غيرك، وصُمْ دهرك، واجعل الموت...فما يسرني أنّ الله خولّني أضعاف ماخولّك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام"[35]، وهذا خبر رابعة حتّى وفاتها[36]، وهذا يبين أنّ الدين والزهد، كانا مقياسا للزواج حتّ عند من يمتلكون الثروة.

أخبار نساء في العصر العباسي الأول:

ذكر ترجمة لهاشمية هي، زُبَيْدة[37]، كان لها معروف كثير وفعل الخير وقصّتها في حجّها، وما اعتمدته في طريقها مشهورة"أنّها سقت أهل مكة الماء، بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وأنّها أسالت الماء عشرة أميال بحطّ الجبال، ونُحُوت الصخر حتّى غلغلته من الحِلّ إلى الحرم، وعملت عقبة البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: أعملها، ولو كانت ضربة فأسي بدينار، فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار[38]، وقيل: بأنّها حجّت أمّ جعفر زُبَيْدة، فبلغت نفقتها في ستين يوما أربعة وخمسين ألف ألف، ولها آثار كثيرة في طريق مكّة والمدينة على ساكنها أفضل الصمّ من مصانع وبِرَك أحدثتها، وأنّه كان لها مائة جارية، يحفظنّ القرآن، ولكلّ واحدة وِرْد عُشْر القرآن، وكان يُسمع في قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن، وأنّ اسمها أمة العزيز، ولقبّها جدّها أبوجعفر المنصور زُبيدة لبضاضتها، ونضارتها[39].

ويذكر زواجها؛ إذ أعْرس بها هارون الرشيد[40] في ذي الحجة سنة 165ه/ـــ782م في قصره المعروف بالخُلْد، وحشد الناس من الآفاق، وفرّق فيهم الأمـــوال، و لم يُـــر في الإسلام مثله، وبلغت النفقة في هذا الغرض من بيت مال الخاصة خارجة ســـوى نفقـــة هارون من ماله خمسين ألف ألف درهم، وليس في بني هاشم هاشمية ولدت خليفـــة إلاّ هي، والظاهر أنّها كانت من المهتمّات بالشأن النحوي، وتسأل علمـــاء النحـــو فيـــه؛ وحُكِيَ عنها، أنّها أحضرت الأصمعي[41]، وقالت له: إنّ أمير المؤمنين، استدعاني، وقال: هلُمِ، يا أمّ نهر، فما معنى ذلك؟ فقال لها: إنّ جعفرا في اللغة، هو النهر الصغير، وأنت أمّ جعفر[42]، ويشير ابن خلّكان إلى طبيعة الحياة الزوجية لزبيدة والخليفة هارون، وما يقـــع فيها "ووقع بين الرشيد وبين زبيدة شرّ، فتهاجرا فعمل داود بن رُزَيْن مولى عبد العـــيس شعرًا[43]، فصار إليها عندما وقف على الأبيات، وسألت عن ســـبب مجيئـــه، فعرفـــت، وأوصلت إلى داود مائة ألف درهم في وقتها، وأضعافها بعد ذلك [44].

وأورد لنا ابن خلّكان موقفها من المأمون[45] ابن زوجها الرشيد بعـــد قتلـــه لابنـــها "وقالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد: أهنؤك بخلافة قد هنأتُ نفسي بهـــا قبـــل أن أراك، وإن كنتُ قد فقدت ابنا خليفة، لقد عُوضتُ ابنا خليفة، لم ألده، وما خسر مـــن اعتاض مثلك، ولا ثكلت أمّ ملأت يدها منك، وأنا أسأل الله أجرًا على ما أخذ، وامتاعًا بما عوض"[46]، وذكر اختلاف الرشيد وأمّ جعفر في اللوزرينج[47]، والفالوذج[48]، أيّهمـــا أطْيب؟، فمالت زبيدة إلى تفضيل الفالوذج، ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج، وتخاطرا على مائة دينار، فأحضرا القاضي[49]، فلم يزل في الأكل إلى أن نصف الجامين، فقال لـــه الرشيد: إيه يا أبا يوسف[50]؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مارأيت خصمين أجمل منهما، كلّما أردتُ، أن أُسَجِل، أَدْلَى الآخر بحجّته، وقد حِرْتُ بينهما، فضحك الرشيد، وأعطاه مائة دينار، وانصرف مشكورا [51].

وترجم ابن خلّكان لأنموذج آخر من النساء، لزوجة خليفة عباسي من أصل جارية هي، بوران، ذاكرا اسمها الذي تدعى به حقيقة "**هيبوران**" بنت الحسن بن سهل[52]، ويقـــال: أنّ اسمها خديجة، وبوران لقب، والأوّل أشهر[53]، ويستعرض التطور الحاصل في مراسيم الزواج

بأمّ ولدٍ؛ إذ يذكر أنّ قُرْبَ أبيها من الخليفة، كان مدعاة للزواج منها بالدرجة الأولى "فكان المأمون، قد تزوجّها بمكان أبيها منه"[54]، ثم ينتقل لعرض مظاهر الاحتفال بعرسها "واحتفل أبوها بأمرها، وعمل من الولائم والأفراح، ما لم يُعهد مثله في عصر من الأعصار[55]، وكان ذلك بفمّ الصلح[56]، وانتهى أمره إلى أن نثر على الهاشميين والقوّاد والكتّاب والوجود بنادقًا فيها رُقاع بأسماء ضياعٍ وأسماءِ جوارٍ، وصفات دواب وغير ذلك، فكانت البندقية إذا وقعت في يدّ رجلٍ فتحها، فقرأ ما في الرقعة فإذا علم ما فيها، مضى إلى الوكيل المُرصد لذلك فيدفعها إليه، ويُسَلم ما فيها سواء، كان ضيعة، أو ملكا آخر، أو فرسا، أو جارية، أو مملوكا، ثمّ نشر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر، وأنفق على المأمون وقوّاده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه، وكانوا خلقًا لا يُحصى، حتّى على الجمّالين والمكارية والملاّحين وكلّ من ضمّه عسكره، فلم يكن في العسكر من يشتري شيئا لنفسه ولا لذويه[57].

ويورد ما ذكره الطبري، مايبين به الغرض الحقيقي للزواج، وأيضا التطور الحاصل؛ إذ الزوج يقيم عند بيت أهل عروسه على خلاف ما هو عند العرب، والحقيقة أنّ هذا ليس مدعاة للغرابة، فالخليفة تَدخل هذه المناطق كلّها في دائرة حُكْمِه "أقام عند الحسن تسعة عشر يوما، يُعدُّ له في كلّ يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم، وأمر له المأمون عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم، وأقطعه فمّ الصلح فجلس الحسن، وفرّق المال على قوّاده، وأصحابه، وحَشَمِه، ثمّ ذكر بعد هذا، خرج المأمون نحو الحسن لثمان خلون من شهر رمضان، ورحل من فمّ الصلح لتسعٍ بقيْن من شوال سنة209هـ/825م [58]، وجديد ابن خلكان، هو طرْحُه لقضية هامّة وهي، تنبؤ أحد الشعراء بهذا، وقال غيره: وفُرِش للمأمون حصيرٌ منسوج بالذهب، فلمّا وقف عليه، نُثِرت على قدميه لآلئ كثيرة، فلمّا رآى تساقط اللآلئ المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب، قال: قاتل الله أبا نواس[59]، كأنّه شاهد هذه الحال، حين قال في صفة الخمر، والحُباب الذي يعلوها عند المزاج[60].

ويتبين أنّ الشعر قد أستعمل لتنبيه الخليفة المأمون؛ لِما هو من تُرَهات في تنظيمات العُرس"فلمّا نمّى هذا الشعر إلى المأمون، قال: والله ما ندري خيرا أراد، أم شرّا؟[61]، وجديده أيضا، ما نفهمه من رواية ذكرها للطبري مفادها تأخير الصداق إلى الدخول بالعروس، وطريقة التعامل بين الخليفة وزوجته في حضور جدتها التي بدا واضحا منها تصَرُفَ وكلام العروس بصفتها الأصلية؛ أي المرأة الجارية وليست الحرّة "دخل المأمون على بوران الليلة الثالثة من وصوله إلى فمّ الصلح، فلمّا جلس منها، نثرت عليها جدّتها ألف درّة، كانت في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تجمع، وسألها عن عدد الدّر، كم هو؟، فقالت: ألف حبّة، فوضعها في حجرها، وقال لها: هذه نحلتك، وسَلِ حوائجك، فقالت لها جدّتها: كلّمي سيدك، فقد أمرك[62].

ويبدو أنّ هذا الزواج كان من تدبير إبراهيم بن المهدي[63]؛ لأنّ بوران لَّما سألها الخليفة حوائجها، لم تذكر شيئا لنفسها ؛بل سألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي[64]، فقلت: وقد تقدّم ّكره، فقال: "قد فعلْتُ"؛ لكن الواضح هو تنبه الخليفة إلى كثرة الإسراف والتبذير في هذا العرس، وربّما كان ذلك تنبهًا منه لمدى عظمة قيمة الثروة التي يملكها آل الحسن ضِمْن الدولة العباسية" وأوقدوا في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون منا في تور من ذهب، فأنكر المأمون ذلك عليهم، وقال: هذا سرف[65].

أخبار نساء في العصر العباسي الثاني:

ذكر في ترجمة خُمارويه بن طولون[66] خبر ابنته، قطر الندي، ولّما تولّى المعتضد[67] الخلافة، بادر إليه جماعة بالهدايا والتحف، فأقرّه المعتضد على عمله، وسأل خُمارويه أن يُزوج ابنته قطر الندى واسمها: أسماء، للمكتفي بالله[68] بن المعتضد، وكان يوم ذاك وليّ العهد، فقال المعتضد بالله: بل أتزوجها، أنا فتزوجها في سنة281هـ/894م، ودخل بها في آخر هذه السنة، وكان صداقها ألف ألف درهم، وكانت موصوفة بفَرْط الجمال، والعقل، وعلى اعتبار أنّها كان إحدى المحظيات، فروى أنّ المعتضد خلا بها يومًا للأُنس في مجلس أفرده لها، ما حضره سواها، فأخذت الكأس، فنام على فخذها، فلمّا استثقل، وضعت رأسه على وسادة، وخرجت، وجلست في ساحة القصر، فاستيقظ، فلم يجدها،

فاستشاط غضبًا، ونادى بها، فأجابته عن قُرْب، فقال: ألَم أُخلك إكرامًا لك، ألم أدفع إليك مُهجي دون سائر حظاي، فتضعين رأسي على وسادة، وتذهبين، فقالت: يا أمير المؤمنين، ما جهلْت قدْر ما أنعمتَ به علي، ولكن فيما أدبّني أبي، أن قال: لا تنامي مع الجلوس، ولا تجلسي مع النيام[69]، وهذه الرواية تثبت دهاء المحظيات في الاستئثار بمن يُردنّ الوصول إليه، وإفهامه مدى تأدبهنّ بخصال آبائهن، على أساس أنّ هذه الجارية لها أهل ونمط تربية محدد.

ويقال أنّ المعتضد بالله أراد نكاحها افتقار الطولونية وكذا كان، فإنّ أباها جهزّها بجهاز لم يُعمل مثله، حتّى قيل: كان ألف هاون ذهبًا، وشرَطَ عليه المعتضد أن يحمل كلّ سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها مائتي ألف دينار، فأقام على ذلك إلى أن قتله غلمانه بدمشق على فراشه ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 282هـ/896م وعمره اثنتان وثلاثون[70].

وترجم ابن خلّكان لأخريات اشتهرن بعلمهنّ في القرن الخامس والسادس الهجريين، شُهدة بنت الإبري[71]، يصفها بفخر النساء، كانت من العلماء، وكتبت الخطّ الجيد، وسمع عليها خَلْق كثير، وكان لها السماع العالي، ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر، واشتهر ذكرها، وبَعُدَ صيتها، وكان مولدها في 484هـ/1092م، على اعتبار أنّ وفاتها يوم الأحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة574هـ/1179م، وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها –رحمها الله [72].

وترجم لأخرى بشكل عارض في ترجمة، شاهنشاه بن أيوب[73]، له بنت تسمّى، عذرا، وهي التي بنت المدرسة العذراوية بدمشق، وإليها تُنْسب، ماتت عذرا عاشر محرم سة573هـ/1178م[74]، وبعيدا عن عاصمة الخلافة العباسية، ترجم ابن خلكان لتقية بنت أبي الفرج[75]، كانت فاضلة، ولها شعر جيد القصائد، والمقاطيع، وصحبت الحافظ أبا الطاهر، أحمد بن محمّد، السلفي، الأصبهاني –رحمه الله– زمانًا بثغر الإسكندرية[76] المحروس، وذكرها في بعض تعاليقه، وأثنى عليها، وكتب بخطّه "عثرْت في مترل سكناي،

فانجرح أُخمصي، فشقّت وليدة في الدّار خِرْقةً من خمارها، وعصّبته، فأنشدت تقية تقول في الحال لنفسها:

لَوْ وَجَدْتُ السَّبِيلَ، جُدْتُ بِخَدِّي عِـــــوَضًا عَنْ خِمَارِ تِلْكَ الوَلِيدَة[77].

وأنّ تقية نظمت قصيدة تمدح بها الملك المُظَفَر تقيّ الدّين عمر بن أخـــي السّـــلطان صلاح الدّين -رحمها الله-، وكانت القصيدة خمرية، ووصفت آلة المجلس ومـــا يتعلّـــق بالخمر، فلمّا وقف عليها، قال: الشيخة تعرف هذه الأحوال مِنْ زمن صباها، فبلغهـــا ذلك: فنظمت قصيدة أخرى حربية، ووصفت الحرب، وما يتعلّق بها أحسن وصف، ثمّ سيرّت إليه تقول: عِلْمي بهذا كعلمي بهذا...وكان قصدها براءة ساحتها؛ ممّـــا نســـبها إليه[78]، وكانت قد سألت الشيخ الإمّام العالم أبا الطاهر إسماعيل بن عوف الزهري عن الشعر، فقال: فهو كلام، إن تكلّمْتِ بحَسَنِ فهـــو لـــك، وإن تكلّمْـــتِ بشـــرٍّ فهـــو عليكِ...وكانت ولادتها في صفر سنة505هـــ/1112م بدمشـــق، ورأيـــتُ بخـــطّ الحافظ[79]، أنّها وُلدت في المحرم من الســـنة المـــذكورة، وتوفيـــت في أوائـــل شـــوال سنة579ه/1184م[80].

وترجم لزينب بنت الأشعري[81]، ومولدها سنة524هـــ/1131م بنيسابور، كانـــت عالمة، وأدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم رواية وإجازة، سمعـــت مـــن علماء، ولنا منها إجازة، كتبتها في بعض شهور ســـنة610هـــ/1214م، وتوفيـــت سنة615هـــ/1219م في جمادي الآخرة بمدينة نيسابور -رحمهـــا الله تعـــإلى-[82]، وفي ترجمة الدّين بن الصلاح[83]، كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، وما يتعلّق بعلم الحديث، ونقل اللغة، وكانت فتاويه مسدّدة، وهو أحد أشياخي الذين انتفعتُ بهم وهو الذي أنشأ المدرسة الرواحية بحلب أيضا، ثمّ تولّى تدريس مدرسة ستّ الشام زُمُرُد خاتون بنت أيوب[84]، وهي شقيقة شمس الدّولة توران شاه بن أيـــوب وهي التي بَنَت المدرسة الأخرى ظاهر دمشق وبها قبرها، وكان زوجها ناصر الدين بـــن أسد الدين شركوه صاحب حمص، قدمت عليه في أوائل ســـنة632هـــ /1235م، وأقمْتُ عنده بدمشق ملازم الاشتغال مدّة سنة، وتوفي الخامس والعشرين ربيع الآخـــر

سنة643ه/1246م، ودفن بمقام الصوفية خارج باب النصر، ومولده سنة 577هـ/1182م[85]، وذكر ابن كثير سنة610هـ/1214م، تغيظ السلطان المُعظّم على القاضي زكي الدّين بن محيي الدين بن الزكي قاضي البلد، وسببه، أن عمّته ستّ الشام بنت أيوب، كانت قد مرضت في دارها التي جعلتها بعدها مدرسة، فأرسلت إلى القاضي؛ لتوصي إليه، فذهب إليها بشهود معه فكتب الوصية، كما قالت، قال المعظم: يذهب إلى عمّتي بغير إذني، ويسمع هو، والشهود كلامها، واتفق أنّ القاضي، طلب من جابي العزيزية حسابها[86].

خاتمة:

يتبيّن أنّ مضامين الترجمات النسوية لابن خلّكان في كتاب "وفيات الأعيان" أكثر من حاجة، فهي من ناحية تبين التطور الحاصل في الجانب الاجتماعي، الممثل في شخصية المرأة والزواج، ثمّ تطور نحو المجالس العلمية والمكانة بإجازة علماء لهنّ.

المراجع :

1ابن خلّكان، قاضي القضاة، شمس الدّين، أبو العباس، أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خَلّكان، البَرْمَكي، الإربلي، الشافعي، ولد بإربل سنة 608ه/1212م، وسمع البخاري من ابن مُكرم، وأجاز له647ه/1250م، المؤيّد، الطوسي، وجماعة، تفقّه بالموصل على كمال الدّين بن يونس وبالشّام على ابن شدّاد، ولقيّ كبار العلماء، وبرع في الفضائل والآداب، وسكن مصر مدّة، وناب في القضاء، ثمّ وليّ قضاء الشام عشر سنين، وعُزل بابن الصائغ سنة669ه/1271م، فأقام سبع سنين معزولا بمصر، ثمّ رُدّ إلى قضاء الشام، ثمّ عُزل ثانيا في أول سنة680ه/1282م، واستمرّ معزولا وبيده الأمينية، والنجيبيّة، كان يجمع بين حسن الصورة، وفصاحة المنطق، وغزارة الفضل، ونزاهة النفس، إمامًا فاضلا، عارفا بالمذهب، حسن الفتاوى، جيّد القريحة، بصيرا بالعربية، علاّمة في الأدب والشعر، وأيّام الناس، كثير الاطّلاع، حُلْو المذاكرة، وافر الحُرْمة، كريما مُمَدَحًا جوادًا، وجمع كتابًا نفيسا في وفيات الأعيان، توفيّ –رحمه الله– في رجب سنة681هـ/1283م، ودفن بالصالحية، وقيل بأنّ خلّكان هي، اسم بعض أجداده. أنظر، ابن العماد الحنبلي(الإمّام شهاب الدّين، أبي الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمّد العَكري، الدّمشقي 1032ه-1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حقّقه، وعلّق عليه:محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1410ه/ 1989م، م7، ص ص648، 649.

2ابن خلّكان(أبو العبّاس شمس الدّين، أحمد بن محمّد بن أبي بكر 608هـ/681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، حقّقه الدّكتور: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، 1414هـ/1994م، ج1، ص19.

3نفسه.

4نفسه.

5ابن خلّكان، نفس المصدر، ص20؛ تعمدْتُ في كتابة مقالي هذا إلى اتباع منهج مغاير لترتيب ابن خلّكان لمادة الكتاب، فرتّبت تراجم النساء حسب العهود الإسلامية؛ لأتبيّن مدى التطور الحاصل في شخصية المرأة المسلمة رغم اختلاف البيئة، والعادات، والتقاليد غيرها.

6ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج1، ص20.

7نفسه.

8ابن خلّكان، نفس المصدر، ص21.

9نفسه.

10نفسه.

11سَوْدة بنت زُمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُّد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤي، وكانت قبله تحت السّكران بن عمرو بن عبد شمس ابن عمّها، تزوّجها النّبي قبل عائشة، أنظر، ابن منظور(الإمّام محمّد بن مكرم 630هـ/711هـ): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق روحية النّحاس، مراجعة محمّد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى 1404هـ/1984م، ج2، ص271 ؛ ذكر ابن قتيبة نفس النسب لسودة مع إضافة، كانت تحت السكران بن عمرو، وهو من مهاجري الحبشة، فمات، و لم يُعَقب، فتزوّجها الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- بعده، وهي أوّل من تزوّج من نسائه بعد خديجة. أنظر، ابن قتيبة الدّينوري(أبومحمّد عبد الله بن مسلم 213هـ-828م/276هـ-889م): المعارف، حقّقه، وقدّم له الدّكتور ثروت عكاشة، الطّبعة الثّانية منقحة، دار المعارف، ص133؛ سودة بنت زَمعة القُرشية العامرية، تزوّجها الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعد موت خديجة، قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين، وكانت قبله تحت السّكران ابن عمّها أخي سُهيل بن عمرو، وكانت طويلة، ووهبت نوبتها من القَسْم لعائشة؛ رجاء أن تموت في عصمة النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، توفيت سنة55هـ/675م، في خلافة معاوية. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات، م1، ص ص 179، 180.

12معاويّة بن أبي سفيان، هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمّية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ الأموي، أسلم هو، وأبوه يوم فتح مكّة، وشهد حنينا، حكم من 41هـ/661م إلى 60هـ/680م. أنظر، السّيوطي(الإمام الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر): تاريخ الخلفاء، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، الطّبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص164.

13ابن خلكان: وفيات، ج#، ص16,

14نفسه؛ كانت تُكَنى، أمّ عبد الله، وهي التي فضلت أن تُدفن في البقيع مع أخواتها. أنظر، ابن قتيبة: المعارف، ص131، توفيت سنة55هـ/675م، في خلافة معاوية. أنظر: ابن العماد الحنبلي: شذرات، م1، ص ص 179، 180.

15ابن عمر، هو الفقيه، العابد، أبوعبد الرّحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، وكان قد عُين للخلافة يوم التحكيم مع وجود علي والكبار –رضي الله عنهم–، وكان من زهاد الصحابة، وأكثرهم اتباعا للسّنّن، وأعزفهم عن الفتن، وتمّ له ذلك إلى أن مات، بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة، أفتى في ستين منها، وأوصى بدفنه ليلا، ولا يُعلموا الحجاج بن يوسف ؛ لئلا يُصلي عليه، توفي سنة74هـ/693م. أنظر، ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر، م1، ص ص310، 311.

16ابن خلّكان: وفيات، ج3، ص16.

17ابن خلّكان: نفس المصدر، ج3، ص17.

18موقعة الجمل، حدثت عام 36هـ/656م، بسبب مطالبة عائشة، ومن ناصرها بدمِ الخليفة عثمان المقتول غدْرًا في البصرة، سميت بالجمل نسبة إلى جمل عائشة، المسمّى، عسْكر، اشتراه لها عامل عثمان بن عفّان على البصرة، عبد الله بن عامر من اليمن بمائتي دينار. أنظر، المسعودي (أبو الحسين علي بن الحسين بن علي ت346هـ): مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تقديم الدّكتور يوسف البقاعي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى، ج2، ص427.

19ابن خلّكان: وفيات، ج3، ص17.

20ابن خلّكان: نفس المصدر، ج3، ص18، تفاصيل الموقعة، ذكرها كل المؤرخون؛ ولكن بعضهم قال بأنّها وقت عمرة، وليس حجّا. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، م1، ص ص205، 206.

21قيل: اسمها آمنة، وقيل: أمينة، وقيل: أميمة، وسُكينة لقب، لقبتها به أمّها، الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي، وقال محمّد بن السّائب الكلبي النسّابة: سألني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم– عن اسم سُكينة ابنة الحسين بن علي –رضي الله عنهم–، فقلتُ: أميمة، فقال: أصبت. أنظر، ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص397 ؛ وقيل: سكينة أمُّها الرّباب بنت امرئ القيس الكَلَبية. أنظر، ابن قتيبة: المعارف، ص213 ؛ وقيل: قدمت دمشق مع أهل بيتها بعد قتل أبيها، ثمّ خرجت إلى المدينة، ويقال: إنّها عادت إلى دمشق بعد ذلك، وأنّ قبرها بها، كان اسمها آمنة، وسُكينة لقب، لقبّتها به أمّها الرباب بنت امرؤ القيس. أنظر، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج10، ص258.

22الحسين بن علي بن أبي طالب، كان يكنّى :أبا عبد الله، وخرج يريد الكوفة، فوجّه إليه عبيدُ الله بن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص، فقتله سنان بن أبي أنس النخعي سنة61هـ/681م يوم عاشوراء، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ويقال: ست وخمسين سنة، وكان يخضب بالسواد. أنظر، ابن قتيبة: المعارف، ص213.

23الخليفة سليمان بن عبد الملك، 96هـ/715م ـ 99هـ/718م، أبو أيوب، من خيار خلفاء بني أميّة، وليّ الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه سنة 96هـ/715م، كان فصيحا، مفوها، مؤثرا للعدل، محبّا للغزو، مولده سنة 60هـ/680م، مات غازيا بدابق. أنظر، ابن قتيبة: المعارف، ص184.

24نكحت سكينة ابنة الحسين إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بغير وليّ، فكتب عبد الملك إلى هشام بن اسماعيل، أنْ فرِّق بينهما، وعن ابن شهاب أنّه قال في المرأة: تُنكح نفسها بغير إذن وليِّها؟، قال: زوّجت سُكينة بنت الحسين نفسها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكتب فيها هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك، أن يفرِّق بينهما، فإن كان دخل بها، فلها صداقها، بما استحلّ منها، وإن لم يكن دخل بها، خطبها مع الخُطّاب، توفيت سُكينة سنة117هـ/735م بالمدينة المنورة. أنظر، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج10، 258. 117هـ؛ ويذكر ابن العماد الحنبلي نفس الكلام مع إضافة"وجمالها، وحُسْن خلُقها مشهور، لها نوادر، توفيت بالمدينة والعامّة تزعم، أنّها بمكّة في طريق العمرة. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات، م2، ص 82.

25ابن حلّكان: مصدر سابق، ج2، ص394.

26في سنة110هـ/729م، توفيت فاطمة بنت الحسين الشهيد -رضي الله عنه- التي أصدقها الّديباج، عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ألف ألف درهم، وتزوّج اختها سُكينة مُصعب بن الزبير هي وعائشة بنت طلحة. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات، م2، ص55.

27قيل: بأنّ سكينة من أجلد نساء قريش، كانت إذا لعن مروان جدّها عليًّا -عليه السلام-، لعنته، وأباه، وأبا أبيه، وكانت من أجمل الناس. أنظر، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج10، ص 258.

28ابن حلّكان: وفيات، ج2، ص394.

29ابن حلّكان: نفس المصدر، ج2، ص396 ؛ ماتت في خلافة هشام بن عبد الملك. أنظر، ابن قتيبة: المعارف، ص 214.

30رابعة العدوية، البصرية، الزّاهدة، العابدة، الخاشعة، أمّ عمرو، رابعة العدوية بنت إسماعيل، ولاؤها للعتكيّين، حمل النّاس عن أمّها الحكمة، عاشت ثمانين عاما، توفيت عام180هـ/796م. أنظر، الذّهبي(الإمّام شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان 673هـ/748هـ):سيّرأعلام النّبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّالثة 1405هـ/1985م، ج9، ص ص241، 242.

31سفيان الثَوْري بن سعيد بن مسروق، ويكنّى: أبا عبد الله، ونُسب إلى ثور بن عبد مناة بن أدْ بن طابخة بن الياس بن مُضر، ويقال: لثور ثور أطحل، ومات سفيان بالبصرة متواريا من السّلطان سنة161هـ/778م، وهو ابن أربع وستين، وولد سنة97هـ/716 م. أنظر ابن قتيبة: المعارف، ص 497 ؛ يذكره ابن النديم، في أخبار العلماء، وأسماء ماصنفوه من الكتب، ويحتوي على أخبار فقهاء أصحاب الحديث، منهم السفيان الثوْري، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من ولد ثوْر بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن منصور بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان يقال: أنّه في بني ثوْر ثلاثون رجلا، ليس منهم رجل دون الربيع بن خثيم، وهم بالكوفة، وليس بالبصرة منهم أحد، ومات سفيان الثوْري بالبصرة مستترا من السلطان، ودفن عشاء،

وأوصى إلى عمار بن يوسف في كتبه، فمحاها، وأحرقها، و لم يُعَقِب سفيان الثوْري. أنظر، ابن النّديم(محمّـــد بـــن اسحاق المعروف إسحاق أبي يعقوب الورّاق):كتاب الفهرست، دار إحياء التّراث العربي، بـــيروت، لبنـــان، الطّبعة الأولى 1427هـــ/2006م، ص281.

32ابن خلّكان، وفيات، ج2، ص285.

33ابن خلّكان: نفس المصدر، ص286.

34نفسه.

35ابن خلّكان، نفس المصدر، ص286.

36وكانت وفاتها في سنة135هـــ/753م فيما ذكره ابن الجوزي، وقال غيره سنة158هـــ/801م رحمهـــا الله، وقبرها يُزار، وهو بظاهر القدس، من شرقيه على رأس، يسمّى الطور، وذكره ابن الجوزي في كتـــاب صـــفوة الصفوة، في ترجمة رابعة العدوية، وكانت من خيار إماء الله تعإلى، وكانت تخدم رابعة العدوية، قالت: وكانت رابعـــة تصلي الليل كلّه، فإذا طلع الفجر، هجعت في مُصلاها هجعة، خفيفة، حتّى يُسفر الفجر، فكنتُ أسمعها تقـــول: إذا وثبت من مرقدها ذلك، وهي فزعة: يا نفس، كم تنامين، وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومةً، لا تقومين منـــها إلاّ لصرخة يوم النشور، وكان هذا دأبها دهرها، حتّى ماتت، ولّما حضرتها الوفاة، ودعتني، وقالت: يا عبدة، لا تؤذني بموتي أحدا، وكفنيني في جبّتي هذه، وهي جبّة من شَعْر، كانت تقوم فيها، إذا هدأت العيون قالت: فكفنّاها في تلـــك الجبّة، وفي خمار صوف، كانت تلبسه. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ج2، ص 287.

37زُبَيدة، هي أمّ جعفر، زُبيْدة بن أبي جعفر المنصور بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بن هاشم، وهي أمّ الأمين محمّد بن هارون الرّشيد. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ج2، ص314.

38نفسه.

39نفسه.

40هارون الرّشيد، الخليفة هارون، أبو جعفر بن المهدي بن المنصور عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، أُستخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي، ربيع الأوّل عام170هـــ/787م، كان يـــبغض المراء في الدّين، والكلام في معارضة النّص، استمّر حكمه إلى عام 193هـــ/809م. أنظر، السّيوطي:تـــاريخ الخلفاء، ص ص221، 222.

41الأصمعي، عبد الملك بن قُريب بن عبد الملكين، علي بن أصمع بن مظهر بن عمرو بن عبد الله البـــاهلي60، أنشـــد للشعر، والمعاني، وكان أبوعبيدة كذلك، ويُفضل على الأصمعي بعلم النّسب، وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو، وكان يكنّـــى: أبا سعيد، واسم قُريب عاصم، ويكنّى: أبـــا بكـــر، تـــوفي الأصـــمعي بالبصـــرة ســـنة213هـــ/829م وقيـــل تـــوفي سنة218هـــ/834م، ومن كتبه، خلق الإنسان، خلق الفرس، كتاب الخيل، كتاب الإبل، كتاب الشاه، كتـــاب الوحـــوش، كتاب الأمثال، كتاب الأضداد، كتاب النبات والشجر. أنظر، ابن النديم: الفهرست، ص 61.

42ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص315.

43إنّما أمّ جَعْفر جنّةُ الخُلْ دِ رِضَاهَا والسُّخْطُ منها السَّعِيرُ/ فاعْتَذِرْ يا خَلِيفَةَ اللهِ لاَ فِي الأَرْضِ إِلَيْهَا وتَرْكُ ذاكَ كبيرُ. أنظر، ابن خلّكان: نفسه.

44نفسه.

45المأمون، الخليفة عبد الله، أبو العبّاس بن الرّشيد، ولد عام 170هـ/787م في منتصف ربيع الأوّل ليلة موت الخليفة الهادي، أمّه اسمها، مراجل، عرف بالحزم، والحلم، والدّهاء والرّأي، في عهده محنة خلْق القرآن، كان أمّارا بالعدل، حكم من198هـ/814م-218هـ/833م، كان فقيه النّفس. أنظر، السّيوطي:مصدر سابق، ص236.

46ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص316.

47الجوزينج، يبدو أنّها هي اللّوزينج، من الحلواء، تشبه القطايف، يُؤدم بدهن اللّوز، تعريب لوزينة. أنظر، شير(السّيدادّي): الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، الطّبعة الثّانية1987م، 1988م، دار العرب للبستاني، الفجالة، القاهرة، طبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيّين، بيروت، 1968م، ص143.

48فالوذق، الفالوذ، حلواء، تُعْمل من الدّقيق، والماء، والعسل، وهي أطيب الحلاوات عند العرب، وفيها لغات الفالوذج، الفالودج، الفالوذق. أنظر. بطرس البستاني: كتاب محيط المحيط، قاموس مطول للّغة العربيّة، مطبعة لبنان، ساحة رياض الصلح، طبع في مطابع تيبو برس، لبنان، طبعة جديدة1987م، مادّة فلج، ص700. السّيدأدّى شير: الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص ص121، 122.

49أبو يوسف القاضي، وقال له: يا أبا يعقوب، قد اختلفنا على كذا، وكذا، فاحكم فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما يُحْكَم على غائب، وهو مذهب أبي حنيفة، فأحضر له جامين من المذكورين، فطفق يأكل مرّة من هذا، ومن هذا مرّة، وتحقّق أنّه إن حكم للرّشيد، لم يأمن غضب زبيدة، وإن حكم لزُبيدة، لم يأمن غضب الرّشيد، فلم يزل في الأكل إلى أن نصف الجامين...اللخ. أنظر، ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص 317.

50القاضي أبو يوسف، اسمه يعقوب بن ابراهيم، الكوفي، قاضي القضاة، وهو من أول من دُعي بذلك، تفقّه على الإمام أبي حنيفة، وسمع من عطاء بن السّائب، وطبقته، كان يحبّ أصحاب الحديث، ويميل إليهم، وخالف أبي حنيفة في مواضع، وروى عنه محمّد بن الحسن الشيباني، وأحمد بن حنبل ويحي بن مَعين، وأكثر العلماء على تفضيله، وتعظيمه، وليّ القضاء للمهدي، وابنيه، وقال عند وفاته: كلّ ما أفتيتُ به، فقد رجعتُ عنه، إلاّ ماوافق الكتاب والسّنّة توفي 182ه/799م، كان يحفظ التفسير، والمغازي، وأيّام العرب، وكان أقلّ علومه الفقه، وهو أوّل من نشر علم أبي حنيفة368وكان يعرف بالحديث، وجالس محمّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ثمّ جالس -أبي حنيفة رضي الله- عنهما، وكان يخالف أبا حنيفة في المسألة بعد المسألة وكان يقول دُبُر كلّ صلاة: "اللهم اغفر لي، ولأبي حنيفة" 370، هو أوّل من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشرها، دُفن بمقابر قريش، بكرخ بغداد، بقرب أمّ جعفر زُبيْدة. أنظر، ابن العماد الجنبلي: شذرات، م2، ص368 وما بعدها.

51ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص ص316، 317.

52الحسن بن سهل، السّرخسي، وسرخس، مدينة من خراسان، كان سمحا إلى الغاية، جوادا، ممدحا، يقال: أنفق على عرس ابنته، أربعة آلاف دينار، توفي سنة 236هـ/851م، وزير المأمون، وحموه أبومحمّد، الحسن بن سهل، وله سبعون سنة، وكان موته لغلبة المرّة السوداء؛ لشدّة حزنه على أخيه الفضل، حين قُتل معاصفة في الحمام. أنظر، ابن العماد الحنبلي: مصدر سابق، م3، ص167.

53ابن خلّكان، وفيات، ج1، ص287؛ وجرى كلّ هذا في شهر رمضان سنة210ه/826م، وعقد عليها في سنة202هـ/818م، توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة271هـ/885م ببغداد، وعمرها ثمانون سنة، ويقال: أنّها دفنت في قبة، مقابلة مقصورة جامع السلطان، وأنّها باقية إلى الآن – رحمها الله تعالى-.أنظر، ابن خلّكان: وفيات، ج1، ص 290.

54ابن خلّكان، وفيات، ج1، ص 287.

55تزوج الخليفة المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل202ه/818م، وأعرس، ففرش له يوم البناء حصير من ذهب، ونثر عليه ألف حبّة من الجوهر، وأشعل بين يديه شمعة عنبر، وزنها مائة رطل، ونثر على القواد رقاع بأسماء ضياع...وتزوج المأمون بوران في بيت الحسن بن سهل بواسط، وكان عرسا لم يُسمع بمثله في الدنيا في سنة210ه/826م. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات، م3، ص48.

56فمّ الصلح، بفتح الفاء وبعدها ميم، وكسر الصاد المهملة، وبعد اللام حاء مهملة، وهي بلدة على دِجْلة، قريبة من واسط، والصلح، نهر كبير، يأخذ من دِجلة بأعلى واسط، عليه نواح كثيرة، وقد علا النهر وآل أمْر تلك المواضع إلى الخراب. أنظر، ابن خلّكان: وفيات، ج1، ص 290.

57ابن خلّكان: نفس المصدر، ج1، ص ص287، 288 ؛ في210ه/826م، دخل المأمون ببوران، وكان الحسن مقيما في فمّ الصلح، فسار المأمون من بغداد إلى فمّ الصلح، ودخل بها، ونثرت عليه جدّة بوران، أمّ الحسن والفضل ألف حبّة لؤلؤ من أنفس ما يكون، وأوقدت شمعة عنبر، فيها أربعون منّا، وكتب الحسن أسماء ضياعه في رقاع، ونثرها على القواد، فمن وقع له رقعة، أخذ الضيعة المسمّاة فيها. أنظر، أبو الفدا: كتاب المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 3، ص38؛ وذكر المسعودي: زواج المأمون ببوران بنت الحسن، وانحدر إلى فمّ الصلح في شعبان سنة209هـ/825م، وأملك بخديجة ابنة الحسن، التي تسمّى بوران، ونثر الحسن في ذلك الأملاك من الأموال، ما لم ينثره، ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في إسلام، وذلك أنّه نثر على الهاشميّين، والقواد، والكتّاب، والوجوه بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع. أنظر، المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، ج3، ص319 ؛ وتزوج المأمون بوران في بيت الحسن بن سهل بواسط، وكان عرسا، لم يُسمع بمثله في الدنيا في سنة210ه/826م. أنظر، ابن العماد الحنبلي:شذرات، م3، ص48.

58ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص288.

59أبونوّاس، أبوعلي الحسن بن هانئ الحكمي (ابن وهب)، ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، أخذ النّحو عن أبي زيد الأنصاري، مدح الخلفاء والوزراء، له أشعار المجون، والخمر، خاصّة أيّام هارون، سجنه الخليفة الأمين196هـ/812م. أنظر، الذّهبي:سير أعلام النّبلاء، م9، ص ص279، 280.

60ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص288.

61نفسه.

62 نفسه.

63إبراهيم بن المهدي بن محمّد المنصور العبّاسي، الأسود، ولضخامته، يقال له: التّنين، وابن شَكْله، وهي أمّــه، أديبا، فصيحا، شاعرا، رأسا في معرفة الغناء، وأنواعه، وليَ إمرة دمشق لأخيه الرّشيد، وبويع بالخلافة ببغداد، ولُقــب المبارك، عندما جعل المأمون وليّ عهده علي بن موسى الرّضا، فحاربه الحسن بن سهل، ثمّ حاربه حميــد الطّوســي، فانهزم جيش إبراهيم، واختفى، ثمّ ظفروا به، وهو في إزار، فعفا عنه المأمون، لأنّه استشار خاصّته في أمــره، فالكــلّ أشار بقتله، قائلا: من ذاق حلاوة الخلافة، لا تصحّ منه توبة، إلاّ يحي بن أكثم، فإنّه أجابه، فقبّل رأيه، وأطلق سراحه مكرّما. أنظر، ابن عماد الحنبلي:شذرات، م2، ص53.

64 ابراهيم بن محمد المهدي، ولاّه أخوه الرّشيد إمرة دمشق، فقدمها، ثمّ عزله عنها، وولاّها غيره، ثمّ أعــاد إبــراهيم إلى ولايتها، ووليّ إمرة الحج، ولّما استقرّت للمأمون الخلافة، دعا إبراهيم بن المهدي بابن شكلة، فوقف بين يديه، فقال: يا إبــراهيم، أنت المتوثب علينا، تدّعي الخلافة؟، فحدّثه بما كان من المهدي من العفو على رجل. ..فقال المأمون، وقد قبلت الحديث؛ لقبوله، وعفوت عنك، هاهنا يا عمّ، هاهنا يا عمّ، ولد 162هــ/779م، وكان شاعرا، ومغنيا، توفي 224هــ/839م، في رمضــان. أنظر، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، م4، ص126 وما بعدها.

65 ابن خلّكان، وفيات، ج2، ص289.

66 أبو الحسن، خُمارويه بن أحمد بن طولون، لّما توفي أبوه، اجتمع الجندعلى توليته مكانه، فولي، وهــو ابن عشرين سنة، وكانت ولايته في أيام المعتضد على الله، وفي سنة276هــ/890م تحرّك الأفشين من أرمينية، والجبال في جيش، قصد مصر، فلقيه خمارويه في بعض أعمال دمشق، وانهزم الأفشين من الجمع عسكره، وسار خمارويه، حتّى بلغ الفرات، ودخل أصحابه الرّقة، ثمّ عاد، ملك من الفرات إلى بلاد النوبة. أنظر، ابــن خلّكان: نفس المصدر، ص 249.

67المعتضد بالله، أحمد بن الموفق 279هــ/289هــ -902/893م:هو أحمد، أبو العباس، ابــن ولي العهد، الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد في ذي القعدة سنة242هــ/857م، أمّه أم ولد اسمها، صواب، بويع له في رجب سنة279هــ/893م بعد عمّه المعتمد، وكان قليل الرحمة، إذا غضب على قائد، أمر بأن يُلقى في حفيرة، ويُطم عليه، ذو سياسة عظيمة، زُفَت إليه قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون، فدخل عليها ربيع الأوّل، وكان في جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة، وعشرة صناديق جوهر، اعتــلّ المعتضد في ربيع الآخر سنة289هــ/902م علة صعبة، وكان مزاجه قد تغير من كثرة إفراطه في الجماع، ثمّ تماسك، ثمّ انتكس، ومات الإثنين لثمان بقين منه، وشكُّوا في موت المعتضد، فتقدّم إليه الطبيب، وجسّ نبضه، ففتح عينيه، ورفس الطبيب برجله، فدحاه، فمات الطبيب، ثمّ مات المعتضد من ساعته. أنظــر، الســيوطي: مصدر سابق، ص276 وما بعدها.

68المكتفي بالله، المكتفي بالله، أبو محمّد بن المعتضد289هـ/295هـ -902م/908م:أبومحمّد علي بن المعتضد، ولد في غرة ربيع الآخر سنة264هـ/878م، أمّه تركية اسمها، جيجك، عهد إليه أبوه، فبويع في مرضه يوم الجمعة بعد العصر لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة289هـ/902م، ولّما بويع له عند له عند موت أبيه، كان غائبا بالرّقة، فنهض بأعباء البيعة الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله، وكتب له، فوافى بغداد في سابع من جمادي الأولى، ومرّ بدجلة في سمارية، ونزل المكتفي في دار الخلافة، وخلع على القاسم سبع خِلع، وهدم المطامير التي اتخذها أبوه وصيرها مساجدا، وأمر بردّ البساتين، والحوانيت التي أخذها أبوه من الناس؛ ليعملها قصرا إلى أهلها، وسار سيرة جميلة في الناس، فأحبّه الناس، ودعوا له، مات يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة295هـ/908م.أنظر، السيوطي: نفس المصدر، ص 281.

69 ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص ص249، 250.

70 ابن خلّكان، وفيات، ج2، ص256.

71شُهدة بنت الإبَري، شهدة بنت أبي نصر بن الفرج بن عمر الإبري، الكاتبة الدّينورية الأصل، البغدادية المولد والوفاة، وسمع عليها خلق كثير، سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر، وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة الثعالبي، وطراد بن محمد الزينبي، وغيرهم مثل، أبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب، وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف، وفخر الإسلام أبي بكر محمّد بن أحمد الشاشي، وكانت وفاتها يوم الأحد بعد العصر، ثالث عشر المحرم، سنة574هـ/1179م، ودفنت بباب أبرز، وقد نيعت على تسعين سنة من عمرها، رحمها الله تعالى، والإِبَري بكسر الهمزة، وفتح الباء الموحدة وبعد الراء ياء مثناة من تحتها هذه النسبة إلى الإيراني، هي جمع إبرة التي يُخاط بها، وكان المنسوب إليها يعلمها، أو يبيعها، والدّينورية بكسر الدّال، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح النون والواو، وفي آخرها راء، هذه التسمية إلى الدّينور، وهي من بلاد الجبل، مات والدها أبو نصر في يوم السبت ثالث وعشرين من جمادي الأولى سنة506هـ/1113م رحمه الله تعالى. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ج2، ص ص277، 278

72ابن خلّكان، وفيات، ج2، ص477.

73شاهنشاه بن أيوب:الأمير نور الدّولة شاهنشاه بن نجم الدّين أيوب بن شاذي بن مروان، أخو السلطان صلاح الدّين رحمه الله، كان أكبر الإخوة، وهو والد عزّ الدّين بن فروخ شاه، والد الملك الأمجد، صاحب بعلبك. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ج2، ص453.

74ابن خلّكان: نفس المصدر، ج2، ص 454.

75تقية بنت أبي الفرج، غيث بن علي بن عبد السلام، أمّ علي الصورية (تقية الصورية)، هي أمّ علي تقية، ابنة أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام بن محمّد بن جعفر السلمي، الأرمنازي الصوري، وهي أمّ تاج الدين، أبي الحسن علي بن فاضل بن سعد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن يحي بن محمّد بن إبراهيم بن موسى بن محمّد بن صمدون الصوري الأصل، والأرمنازي بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الميم والنون وبعد الألف زاي، هذه النسبة إلى أرمناز، وهي قرية، من أعمال دمشق، وقيل: من أعمال أنطاكية، والأوّل

أصّح، وذكر ابن السمعاني: أنّها من أعمال حلب، وقال لي من رآى أرمنا زان، بينها وبين عزاز، من أعمال حلب أقلّ من ميل من جانبها الغربي. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ص297 وما بعدها.

76 ابن خلّكان: نفس المصدر، ص279.

77ابن خلّكان: نفس المصدر، ص280.

78ابن خلّكان: نفس المصدر، ص298.

79نفسه.

80ابن خلّكان: نفس المصدر، ص299.

81زينب بنت الأشعري، أمّ المؤيد، تدعى، حرّة أيضا، بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن عبدوس، الجرجاني الأصل الدار، الصوفي المعروف بالشعري، سمعت من أبي محمّد إسماعيل بن أبي القاسم بن أبي بكر النيسابوري القارىء، وأبي القاسم زاهر، وأبي بكر وجيه أبي طاهر الشحامي، وأبي المظفر عبد المنعم ىبن عبد الكريم بن هوازن القشري، وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذباجي وغيره، وأجاز لها الحافظ أبو الحسن عند الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي، والعلاّمة أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري صاحب الكشاف، وغيرهما من السادات الحفاظ، والشعري بفتح الشين المثلثة وسكون العين المهملة وفتحها بعهدها راء وهذه النسبة إلى الشعر، وعمله، وبيعه. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ص ص344، 345 ؛ زينب الأشعرية، الحرّة، أمّ المؤيد بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن احمد بن سهل الجرجاني، ثمّ النيسابوري، الشعري، الصوفي، ولدت سنة524هـ/1131م، وسمعت من أبي الفُزارى عبد الله، لا من أبيه، ومن زاهر الشحامي، وعبد المنعم بن القشيري، وطائفة، توفيت في جمادي الآخرة سنة615ه/1219م، وانقطع بموتها إسناد عال. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات، م7، ص ص113، 114.

82ابن خلّكان: وفيات، ج2، ص345.

83الدّين بن الصلاح، وهو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري، الكردي، الشهروزوري، المعروف بابن الصلاح الشرخاني، الملّقب، تقي الدّين، الفقيه، الشافعي. أنظر، ابن خلّكان: نفس المصدر، ج3، ص243.

84ست الشام الخاتون، أخت الملك، العادل، بنت أيوب، كانت عاقلة، كثيرة البرّ، والصدقة، بابها ملجأ للقاصدين، وهي أمّ حسّام الدّين، تزوجها محمّد بن شيركوه، صاحب حمص، بنت لها مدرسة، وتربة بالعونية، على الشرف الشمالي من دمشق، وأوقفت دارها قبل موتها مدرسة، وهي إلى جانب المارستان الثوري، وأوقفت عليها أوقافا كثيرة، توفيت في ذي القعدة سنة 616هـ/1220م، ودفنت بتربتها بالعونية. أنظر، ابن العماد الحنبلي: شذرات، م7، ص 114-121.

85ابن خلّكان، وفيات، ج3، ص244 ؛ ابن كثير القرشي الدّمشقي(الإمّام الحافظ عماد الدّين أبي الفدا ت 701هـ/774م): البداية والنّهايّة، راجعه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمّد تامر، شريف محمّد، محمّد عبد العظيم، محمّد سعيد محمّد، دار الوّعي للنّشر والطّبع والتّوزيع، الجزائر، ج7، ص ص14، 15.

86ابن كثير: نفس المصدر، ج7، ص137.